وهكذا وضعت الحركة الصهيونية نفسها بالكامل في خدمة السيد الامريكي صاحب ملايين ومليارات الدولارات والوريث الشرعي المقبل للامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط ، وانطلقت امريكا بسرعة في تدعيم استيلاء عصابة المرتزقة الصهيونيين ، او جنود الصدام النازيين الجدد ، على فلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الهام للسيطرة على الشرق الاوسط ، ليؤدوا الدور المطلوب منهم ضمن سياسة الاستعمار الجديد التي تمارسها . ولذلك انطلقت العصابات الاسرائيلية المسلحة السرية « الهاجاناه » و« الارجون » و« شتيرن » — بتوزيع متقن للادوار وان كان يعكس بعض الاختلاف في منهج التطبيق — تمارس ضغطا عسكريا شديدا على بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة تقريبا وحتى عام ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا رغبتها في احالة المشكلة على هيئة الامم المتحدة . فكانت عمليات نسف وتخريب خطوط السكك الحديدية ومختلف مرافق حكومة الانتداب ومهاجمة المطارات وسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود الانجليز وجلد ضباطهم علنا في شوارع المدن . كل ذلك والسلطات البريطانية لا تستطيع ولا تريد ان تتخذ اجراءات حاسمة مضادة للعصابات الاسرائيلية كالتي كانت تتخذها في « كينيا » أو «الملايو» مثلا ! لقد كانت بريطانيا تريد حلا بريطانيا صرفا لمشكلة فلسطين، حلا يضمن انشاء دولة اسرائيلية تعمل في خدمتها أساسا وضمن كومنولث بريطاني — عربي — اسرائيلي يضمن مصالحها بعيدا عن تزايد النفوذ الامريكي وسيطرته . ولذلك عملت على الحد من الهجرة والتقليص النسبي لقوة العصابات السرية بواسطة حملات التفتيش عن الاسلحة وضبطها ومقاومة سفن الهجرة غير المشروعة الخ. وقد كان هذا هو محتوى المشاريع البريطانية المختلفة المقدمة الى العرب واليهود عقب الحرب (مشروع « موريسون » المقدم في سبتمبر ١٩٤٦ في مؤتمر لندن الذي كان يتضمن تقسيم فلسطين الى ٤ أقسام ، منطقة عربية واخرى يهودية ، منطقة القدس ، منطقة النقب ، مع وجود حكومة مركزية مختلطة تشمل فلسطين كلها تتولى شئون الدفاع والخارجية والجمارك تتبع المندوب السامي البريطاني . ثم مشروع « بيفن » المقدم في ١٩٤٧ الذي لا يختلف كثيرا عن مشروع موريسون) وقد اتبعت « الهاجاناه » — خلال المرحلة التي امتدت من عام ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا تحويل مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة ، — استراتيجية عمليات عسكرية محدودة يطلق عليها « آلون » اسم « استراتيجية الحرب البناءة »(٤٢) يمكن تلخيصها في الآتي :

تنشيط الهجرة السرية بكل الطرق بحرا وبرا وطوال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ عبرت البحر الابيض المتوسط ٦٥ سفينة وبلغ عدد المهاجرين نحو ١٠٠ الف معظمهم ممن كانوا في معسكرات الاعتقال النازية . وانشاء مستعمرات « كيبوتزات » جديدة في « المناطق الحيوية استراتيجيا لمواجهة الاحداث المتوقعة »(٤١) . ثم توجيه ضربات عسكرية محدودة الى مراكز الجيش البريطاني والادارة البريطانية وفقا لتكتيكات حرب العصابات في المدن والمقاومة السرية ، وعلى أساس « ان تتجنب الخسائر في الارواح او على الاقل تنخفض بها الى الحد الادنى سواء على الجانب البريطاني او اليهودي في جميع عملياتها »(٤١) . ولقد كان هدف هذه الاستراتيجية كما يقول « آلون » تمهيد الارض لنشاط صهيوني في لندن وفي غيرها من العواصم وفي الامم المتحدة ، توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية في القدس ... لقد كنا نفضل هدف ارغام بريطانيا على تسليم انتدابها الى الامم المتحدة »(٤١) . وبطبيعة الحال كانت أمريكا في الامم المتحدة توجهها كما تشاء .

ويستطرد « آلون » فيقول « كان هدف العمليات الحربية هو تقويض مركز القوات البريطانية وشعورها بالامن ومكانتها ، وفوق ذلك كله اقناع « هوايت هول » مرة اخرى وأخيرة انه بدون موافقة اليهود لن تستطيع بريطانيا ابقاء فلسطين كقاعدة آمنة ومفيدة في هذه المنطقة الحيوية... وفي النضال العسكري ذاته ، أثبتت الاستعدادات